

قراءة

فى كتاب الفهرست لابن النديم

للدكتور شاكر الفحام

" وكان ابن النديم كثير البحث والتفتيش عن الأمور القديمة ، كثير الرغبة فى الكتب وجمعها وذكر أخبارها وأخبار مصنفها ، ومعرفة خطوط المتقدمين "

« القفطى فى إنباه الرواة ١ : ٧ »

قارئه صورة العلم العربى الذى نما
وازدهر فى ظلال الحضارة الإسلامية ،
وهو هدف واسع ومطلب عسير المثال :

١- يتطلب من صاحبه اطلاعاً

واحاطة ترّفدهما كفاية ودربة .

٢- ويتطلب تصميمًا ودأباً وجهداً

متواصلاً سنين طويلة .

٣- ثم يتطلب عملاً دقيقاً منسقاً

وفق خطة ونهج واضحين .

ليحقق الهدف الذى قصد إليه .

ولقد تهيأت الأسباب والظروف ليقوى

ابن النديم على الاضطلاع بهذه المهمة

الشاقة المحببة ، وليغدو كتابه «الفهرست»

حدد ابن النديم فى مطلع كتابه
«الفهرست» الغرض الذى رعى إليه ،
والغاية التى تطلع إلى بلوغها من تأليفه
فقال : " هذا فهرست كتب جميع الأمم ،
من العرب والعجم ، الموجود منها بلغة
العرب وقلمها ، فى أصناف العلوم ،
وأخبار مصنفها ، وطبقات مؤلفيها
وأنسابهم ، وتاريخ مواليدهم ، ومبلغ
أعمارهم ، وأوقات وفاتهم ، وأماكن
بلدانهم ، ومناقبهم ومثالبهم ، منذ ابتداء
كل علم! اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة
سبع وسبعين وثلاث مئة للهجرة " (١) .

فابن النديم يريد أن يضع بين يدي

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثالثة من جلسات المؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ٢٧ من رجب سنة ١٤١١ هـ الموافق ١٢

من فبراير سنة ١٩٩١ م .

نمطاً فريداً يحتل مكانة بارزة في تاريخ الثقافة العربية ، يستقى منه كل من أراد أن يتعرف إلى جانب من جوانب المعرفة العربية في القرون الأربعة الأولى للهجرة .

وكان ابن النديم يدرك ثقل المهمة التي ينهض بها ، وما تستتبعه من تبعات، فنرى له مثل قوله : " والله يعين على ما ألزمناه نفوسنا من ذلك بمنه واطفه " (٢) .



نشأ محمد بن إسحاق النديم في بغداد (٣) ، عاصمة الخلافة العباسية ، وموئل الحضارة الإسلامية ، في القرن الرابع الهجري ، القرن الذي تألفت فيه العلوم العربية ، وأشرق نورها ليضيء العالم (٤) . وكان أبوه أبو يعقوب إسحاق ابن محمد بن إسحاق وراقاً (٥) ، على قسط من المعرفة والعلم ، ولقدرته وطول باعه في مهنة الوراق ، وهي مهنة تؤهل كثيراً من أربابها للمشاركة الواسعة في العلوم والتأليف ، فقد دُعِيَ أبا يعقوب

الوراق . وعُرف ابنه تبعاً لذلك بابن أبي يعقوب الوراق (٦) .

عنى إسحاق بابنه محمد ، فأحسن تعليمه وتنشئته ، وخرجه وراقاً ، « ولا أبعد أن يكون قد كان وراقاً ، يبيع الكتب » (٧) . وكان محمد ذكياً ، طُلعة ، تواقاً إلى المعرفة ، منهوماً بالمطالعة . وساعدته الوراق ، مهنة أبيه ومهنته ، على أن يخالط العلماء والأدباء مخالطة شديدة، ويتعرف إلى نتاج المفكرين والكتاب والشعراء ، ويبحث في خزائن الكتب الشهيرة منقّباً عن أعلامها النفيسة ومؤلفاتها النواذر ، ويعلم من أمور المكتبات ما خفى على سواه . وكان له من أبيه خير عون ، يأخذ بيده ، ويسدد خطاه ، فكان يعود إليه سائلاً مستنجداً ، أو طالباً متعلماً (٨) .

تكنّى محمد بأبي الفرج (٩) ، أما لقبه فقد ترجح القدماء فقالوا له : النديم، وابن النديم ، وقد كانوا إلى الثاني أميل (١٠) ، وكانوا يؤثرون أن يقولوا في كتبهم : محمد بن إسحاق النديم ، أو

محمد بن إسحاق . وافترق المحدثون
فمال بعض إلى النديم لقب محمد ورأى
آخرون أن النديم لقب أبيه أو أسرته ،
فسموه ابن النديم (١١) .

لم يُعَنَّ القدماء بترجمة ابن النديم ،
وكلُّ ما عرفوه قد استمدوه من كتابه
« الفهرست » . وما علينا إلا أن نهج
نهجهم ، فنعود إلى هذا المعين لنمتح منه .

يقول ابن النديم في ترجمة أبي بكر
البردعي « محمد بن عبد الله » من فقهاء
الشراة :

" رأيت في سنة أربعين وثلاث مئة ،
وكان بي أنساً ، يظهر مذهب الاعتزال ،
وكان خارجياً ، وأحد فقهاءهم ، وقال لي:
إن له في الفقه عدة كتب ، وذكر بعضها
وهو ... " (١٢) .

إن مثل هذا الحديث يحمل على الظن
أن ابن النديم كان آنذاك في نحو الثلاثين
من عمره ، فهو يبعث بسمته ورجاحة
عقله ، واعتداله ، وبعده عن التعصب ،
وحسن تصرفه ، الطمأنينة في نفس

البردعي الحذر ، فيأنس به ويظهره على
مذهبه . بل يبدو أن ابن النديم قد كان
بدأ يعدُّ العدة لعمله الكبير ويتهيأ له ، فهو
يسرد من كتب البردعي التي عدد له
بعضها ستة عشر كتاباً (١٣) .

من هذا فأننا أرجح أن تكون ولادة
ابن النديم في العقد الأول من المئة
الرابعة ، أو في أواسط العقد الثاني على
أبعد تقدير .

وتبدو في كتاب الفهرست صورة
لنشاطه العلمي ، وصلته بكبار علماء
عصره ، وشغفه بالمعرفة وحبه للإطلاع
والإستزادة .

فهو يكثر من ذكر شيخه أبي سعيد
السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) ، ويفيد من
علمه وتآليفه ، ولا سيما كتابه في أخبار
النهويين البصريين (١٤) ثم ينقل من بعد
عن ابنه أبي محمد يوسف السيرافي (ت
٣٨٥ هـ) (١٥) . وكان من شيوخه أبو
الفرج الأصبهاني صاحب كتاب
الأغاني (١٦) وأبو سليمان ، ولعله أبو
سليمان المنطقي السجستاني (١٧) . ومن

شيوخ ابن النديم أبو عبد الله محمد بن عمران المرزبانى (٢٩٦ - ٣٨٤ هـ) (١٨) . وكان ابن النديم شديد الإعجاب به ، يقول : " المرزبانى ... آخر من رأينا من الأخباريين والمصنفين ، راوية صادق اللهجة ، واسع المعرفة بالروايات ، كثير السماع ... ويحيا إلى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، ونسأل الله له العافية والبقاء ، بمنه وكرمه " (١٩) .

وذكر ابن حجر أن ابن النديم روى بالإجازة عن أبى على إسماعيل بن محمد الصفار (٢٤٧ - ٣٤١ هـ) ، والذي يبدو لى أن الذى روى عن الصفار إنما هو أبو سعيد السيرافى شيخ ابن النديم (٢٠) .

ويورد ابن النديم فى كتابه «الفهرست» بعض ما حدثه وأنشده العلماء والأدباء والشعراء :

فالسرى أحمد الكندى ينشده لنفسه (٢١) ، وأبو بكر الزهيرى ينشده لابن طباطبا فى الدفاتر (٢٢) ، وأبو الفتح عبيد الله بن أحمد النحوى صاحب بنى

الفرات ينشده لجحظة (٢٣) ، وهو يسأل أماد الموبذ مستوضحاً عن أشياء تعنيه فى موضوع القلم الفارسى (٢٤) . وينقل ما حدثه به أبو الحسن محمد بن الحسن ابن أشناس عن الترك وطريقته فى الكتابة (٢٥) . ويسأل يونس القس ، وكان فاضلاً ، عن الأناجيل (٢٦) ، ويورد ما حدثه به أبو الحسن محمد بن يوسف الناقط بسنده عن جمع زيد بن ثابت القرآن ، وعن ترتيب نزوله (٢٧) . وينقل ما أخبره به أبو الحسين الديرى ، وكان أحد غلمان أبى بكر بن دريد ، وخصيصاً به (٢٨) . ويذكر ما حدثه به أبو سعيد وهب بن إبراهيم بن طازاذ من أمر النزاع بين أبى العباس أحمد بن محمد ابن ثوبة وخصمه فى ضيعة ، مستشهداً به لإثبات أصول آل ثوبة (٢٩) . ويورد ما أعلمه به أبو على بن سوار الكاتب ، وهو الذى عمل خزانة الوقف بالبصرة ، وكان محباً للعلوم ، شديد الشغف بها (٣٠) . وينقل حديثاً بينه وبين أبى بكر الخالدى الشاعر يفصح عن سعة محفوظ

الشاعر (٣١) . ويعرض ما قال له أبو القاسم بوباش بن الحسن عن عدد مؤلفات أبي طالب عبيد الله الأنباري (٣٢) وما أجاب به أبو الخير ابن الخمار بحضرة أبي القاسم عيسى بن علي بن عيسى (٣٠٢ - ٣٩١ هـ) ، حين سألته ابن النديم عن أول من تكلم في الفلسفة (٣٣) . ويورد ما سمعه من حديث أبي إسحاق بن شہرام في مجلس عام عن بيت ببلد الروم فيه من الكتب القديمة ما يحمل على عدة أجمال (٣٤) . وما حدثته به نظيف المتطبب بشأن المقالة العاشرة من أقليدس (٣٥) . وينقل ما قاله له محمد بن الحسن الوراق عن شيخ من أهل الري في صفة مجلس أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (٣٦) ، ويعرض ما حكاه له الراهب النجراني الوارد من بلد الصين في سنة ٢٧٧ هـ ويورد ما قاله له أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ، أوجد عصره في مذهب أبي جعفر الطبري ، وحفظ كتبه ، من أن له نيفاً وخمسين رسالة في الفقه والكلام والنحو وغير ذلك (٣٧) .

كذلك فإن ابن النديم يحدث عن أصدقائه ومعارفه من العلماء والمفكرين : فأبو بكر البردعي الذي رآه سنة ٢٤٠ هـ كان به أنساً (٣٨) . وأبو القاسم الحديثي رآه ، وكان زاهداً ، ظاهر الخشوع ، غير مظهر لمذهبه (٣٩) ، وآخر من رآه ممن يلعب بالخفة منصور أبو العجب (٤٠) . والصفواني الذي لقيه في سنة ٢٤٦ هـ كان يزعم أنه لا يقرأ ولا يكتب ، وقال عنه الثقة : إنه كان يُنمَسُّ بذلك (٤١) . وأبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى « ٢٧٧ - ٣٥٢ هـ » كان ممن رآه وسمع منه ، وكان راوية شاعراً أديباً ظريفاً متكماً (٤٢) . وقال له أبو زكريا يحيى بن عدي المنطقي في الوراقين ، وقد عاتبه ابن النديم على كثرة نسخه فقال : من أي شيء تعجب في هذا الوقت من صبري ؟ قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري ، وحملتتهما إلى ملوك الأطراف ، وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ، ولعدي بنفسى وأنا أكتب في اليوم والليلة مئة ورقة وأقل (٤٣) .

وكان أبو الحسن علي بن نصر يذاكره بكتبه (٤٤) . ولقى ابن المعلم من متكلمي الشيعة فرآه بارعاً دقيق الفطنة ماضى الخاطر (٤٥) . وكان أبو الحسن أحمد الملقب بالخنشليل صديقاً له ، يحدثه أن الصناعة « صناعة الكيمياء » صحت له (٤٦) . والتقى محمد بن الحسين بمدينة الحديث « حديث الموصل » دفعات ، فأنس به ، وكان جماعة للكتب ، له خزانة لم ير ابن النديم لأحد مثلها كثرة (٤٧) . ورأى أبا الحسن حيدرة ، وكان من الأخبار ، وكان له صديقاً (٤٨) . وكان أبو بكر محمد ابن إبراهيم النحوى القاضى صديقه (٤٩) ، وعلى بن وصيف الكاتب من أهل بغداد الملقب بخشكانجة كان صديقاً وأنيساً (٥٠) .

هذه لمع من نشاط ابن النديم العلمى، تطلعنا على البيئة التى كان يتقلب فيها ابن النديم الوراق بين العلماء والمفكرين والفلاسفة والكتاب والشعراء والتراجمة والوراقين ، تفتح له آفاق المعرفة ، وتدله على الآماد التى بلغتها

العلوم ، وتعينه على أداء مهمته أحسن الأداء وأفضله .

عاش ابن النديم فى بغداد ، وصلاته التى تحدث عنها وأفاض فى ذكرها كان جلّها مع علماء بغداد وكتابها وشعرائها ، ولكن ابن النديم حدثنا فى كتابه أنه أقام مدة بمدينة الموصل (٥١) ، وأنه زار مدينة الحديث « حديث الموصل » (٥٢) ، ولا نملك ما يدلنا على أنه قام برحلات أخرى إلى غير هاتين المدينتين .

أما تأليف ابن النديم فقد عرفنا منها ثلاثة كتب :

١- كتاب الفهرست الشهير ، وسنفرده بكلمة .

٢- وكتاب الأوصاف والتشبيهات ، ومن مقالات هذا الكتاب مقالة الكتابة وأدواتها (٥٣) .

٣- وكتاب المثالب (٥٤) .

والكتابان الأخيران لم يصل إلينا .

وتدل قراءة كتاب الفهرست على أن ابن النديم كان شيعياً معتزلياً (٥٥) ، وأنه

كان حر التفكير ، رحب الآفاق ، لم يخرج
فى أحكامه عن دائرة النصفة والاعتدال ،
والنزاهة التى يحسن أن يتحلى بها عالم
مثله فى عصر كان للنزاع والتخاصم بين
المذاهب آثارهما البينة . ومن هنا كان
حكمنا هذا متصلاً ببيئة العصر
واتجاهاته . ونحن لا ننكر أن ابن النديم
قد خرج عن الحياد حيناً ، كما نفهمها
نحن بمقاييسنا الحاضرة ، حين اصطنع
مصطلح الخاصة والعامة للدلالة على
الشيعة والسنة (٥٦) ، وأثر لفظى المجبرة
والحشوية للدلالة على أهل السنة
والأشاعرة (٥٧) . واختار روايات
ونصوصاً كتبها الخصوم ليتحدث عن
الإسماعيلية والإمام الشافعى (٥٨) ، ولا
يكفى فى هذا أن يقول : " قال أبو عبد
الله بن رزام فى كتابه الذى رد فيه على
الإسماعيلية وكشف مذاهبهم ، ما قد
أوردته بلفظ أبى عبد الله ، وأنا أبرأ من
العهد فى الصدق عنه أو الكذب فيه " (٥٩) ،
أو شبيه ذلك . وحين تحدث عن مصعب
ابن عبد الله الزبيرى قال : " وكان أبوه

عبد الله من أشرار الناس ، متحاملاً على
ولد على عليه السلام ، وخبره مع يحيى
ابن عبد الله معروف " (٦٠) .

اختلف العلماء فى تاريخ وفاة ابن
النديم ، فذكر الصفدى والمقرئزى أن
وفاته كانت فى سنة ٣٨٠ هـ وأضاف
المقرئزى أنها كانت ببغداد (٦١) ، وذكر
ابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد وحاجى
خليفة فى كشف الظنون ، وإسماعيل
البغدادى فى هدية العارفين أن وفاته
كانت سنة ٣٨٥ هـ (٦٢) .

ونقل الحافظ ابن حجر عن أبى
طاهر الكرجى أن ابن النديم توفى فى
سنة ثمان وثلاثين (٦٣) . وهذا يعنى أنه
توفى فى سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة .
والتحريف ظاهر فى هذا التاريخ ، وقع
من الناسخ أو الطابع ، وأن صوابه : " فى
سنة ثمانين وثلاث مئة " ، وهو التاريخ
الذى ذكره أيضاً كل من الصفدى
والمقرئزى . ويدل على صحة ما ذهبنا
إليه من وقوع التحريف فى قول أبى
طاهر الكرجى أن ابن حجر يشكك فى

التاريخ الذى ذكره أبو طاهر ، وينقل قول الذهبى الذى ترجم لابن النديم فى تاريخ الإسلام وختم الترجمة بقوله : " ولا أعلم متى توفى " . ثم يضيف ابن حجر أنه رأى فى الفهرست موضعاً ذكر أنه كتب فى سنة ٤١٢ هـ ، وهذا يدل على تأخيره إلى ذلك الزمان . فلولا أن أبا طاهر قال إن وفاته فى سنة ٣٨٠ هـ لما اضطر ابن حجر أن يسوق قول الذهبى ، وأن ينقل هو ما نقل من الفهرست ليثبت أن وفاة ابن النديم قد تأخرت عن التاريخ المذكور (٦٣) .

وقطع الدكتور رودلف زلهاييم بدلائل ساقها على أن وفاة ابن النديم كانت فى سنة ٣٨٠ هـ كما ذكر الكرجى والصفدى والمقرئى (٦٤) .

كتاب الفهرست

يُحسُّ المرء وهو يطالع كتاب الفهرست الجهد البالغ الذى بذله ابن النديم حتى استوى له الكتاب على صورته التى ظهر عليها .

لقد كان هذا الكتاب ثمرة سنوات طويلة من الدأب ، أنضى فيها المؤلف ركابه باحثاً منقراً ، سأل العلماء والمفكرين والفلاسفة ، ولقى الكتّاب والأدباء والشعراء ، وخالط الوراقين والتراجمة ، وزار خزائن الكتب النفيسة ، يطالعك ذلك مبعوثاً فى تضاعيف كتابه ، وقد ذكرنا آنفاً لمعاً منه فى ترجمتنا لابن النديم .

بل إن المؤلف نفسه ليشير حيناً على استحياء إلى الجهد الذى بذل ، أو الزمن الذى استغرقه العمل فى مثل قوله : " وبحسب ما رأينا على مر الزمان " (٦٥) .

وكان ابن النديم يستشير إخوانه ، ويطلعهم على صنيعه وما انتهى إليه ، ويبادلهم الرأى . ويقول فى ترجمته لقسطا بن لوقا : " وقد كان يجب أن يقدم على حنين ، لفضله ونبله وتقدمه فى صناعة الطب ، ولكن بعض الإخوان سأل أن يُقدِّم حنين عليه ، وكلا الرجلين فاضل " (٦٥) .

ولم يصرفه شعور الرضا بما قام به،
عن الاعتذار عما يكون قد فاتته ، فتراه
يقول حيناً : " الرؤساء من هؤلاء القوم
كثير ... ولعل من لا نعرف له كتاباً قد
صنّف ، ولم يصل إلينا ، لأن كتبهم
مستورة محفوظة " (٦٧) . أو يقول وهو
يتحدث عن كتب الداعي إلى الله ، الحسن
ابن علي بن الحسن : " هذا ما رأيته من
كتبه ، وزعم بعض الزيدية أن له نحواً من
مئة كتاب ، ولم نرها ، فإن رأى ناظر في
كتابنا شيئاً منها ألحقها بموضعها إن
شاء الله " (٦٨) .

وظل ابن النديم يواصل العمل ، ولا
يتمهل ولا يتلبث حتى رضى عما قام به ،
وأزمع أن يبرزه للناس ، فأعد لذلك عدته،
وحرر كتابه سنة ٣٧٧ هـ ليخرج (٦٩) ،
وقد ترك بياضاً في مواضع لم يتيسر له
إكمالها .

أوجز ابن النديم في مقدمة كتابه
الغرض من تأليفه ، وهو أن يفهرس
جميع الكتب التي ظهرت بلغة العرب
وقلمها في أصناف العلوم ، ويضم إليها
ذلك أخبار مصنفها حتى سنة ٣٧٧ هـ .

وقد صنف العلوم في عشر مقالات:
كل مقالة تتفرع إلى فنون ، ما عدا المقالة
العاشرة التي تحتوى على أخبار
الكيميائيين ، فبلغت فنون الكتاب ثلاثة
وثلاثين فناً ، إذا أدرجنا فيها المقالة
العاشرة الأخيرة (٧٠) .

فقد تطيع القول إن كتاب ابن النديم
قد رسم صورة دقيقة للمكتبة العربية
والنشاط الثقافي في مختلف جوانب
المعرفة التي عرفها عصره .

وقد مضى في كتابه وفق خطة ونهج
دقيقين لم يخرج عنهما إلا نادراً . وإذا
أردنا أن نتبين ملامح الطريقة التي
التزمها ابن النديم في كتابه فإننا
نوجزها في نقاط أربع :

النقطة الأولى : إثارة الإيجاز في العبارة .

فقد كان ابن النديم حريصاً على أن
يضمن الألفاظ اليسيرة المعاني الكثيرة .
تلمح ذلك منذ مطلع كتابه ، فقد أوجز
مقدمته بكلمات ، فقال : " النفوس - أطال
الله بقاء السيد الفاضل - تشرب إلى
النتائج دون المقدمات ، وترتاح إلى

الغرض المقصود دون التطويل في
العبارات ... " (٧١) .

ولم يخرج ابن النديم عن خطته في
الايجاز : « ... وأذكر في هذا الموضع
أيضا من عمل ما عمله السكري ... حتى
لا أحتاج إلى التكرار » . فأتاح له ذلك أن
يضمن كتابه كل هذه الفوائد التي نظمها ،
ولولم يؤثر الايجاز لطال الكتاب جدا .

النقطة الثانية : التقيد بهدف الكتاب
تقيدا تاما (تعداد الكتب وأخبار
مصنفها) : فقد عدد ابن النديم الكتب
وذكر أخبار مصنفها ، متخففا من
التفصيل والإطناب في ذكر ما اشتهر
وعرف ، كي يتفرغ لإنارة جوانب جديدة
لقارئه غير معروفة أو متداولة . يقول :

١ - " قد قلنا في أول هذه المقالة إنا
لانسـتـحسن أن نطبّق
الشعراء (٧٢) ، لأنه قد تقدمنا
من العلماء والأدباء من فعل
ذلك ، وإنما غرضنا أن نورد
أسماء الشعراء ... » (٧٣) .

٢ - " المأمون ... ونحن نستغنى
بشهرة أخباره عن استقصاء
ذكره » (٧٤) .

٣ - "أبونواس ، ونستغنى
بشهرته عن استقصاء
نسبه وخبره ... " (٧٥) .

٤ - "مسلم بن الوليد ، وأمره
مشهور " (٧٦) .

٥ - "ولاحاجة بنا إلى ذكر ماقد
سبقنا إليه غيرنا " (٧٧) .

٦ - " جحظة ... وأخباره أشهر
وأظهر من أن نذكرها في
كتابنا لقرب عهده منا " (٧٨) .

وهذه المقولة التي قادت خطأ ابن
النديم في عمله جعلته يتوسع في
الموضوعات التي قلت مصادرها ،
كحديثه عن مذاهب الحرانية الكلدانيين
المعروفين بالصابئة ، وعن مذاهب
الثنوية (٧٩) .

النقطة الثالثة : التوثيق بذكر المصادر
والموارد .

لقد كان ابن النديم دقيقاً كل الدقة
فى هذا الباب ، يذكر المصنفات والكتب
وغيرها التى أفاد منها فى جمع مادة
كتابه ، مما زاد الثقة بما أورده .

ومصادر ابن النديم فى كتابه
متعددة، منها :

١- مشاهدته الكتب وقراءتها فى
خزائن الخلفاء والعلماء ومحبي
الكتب ، أورؤيته ما فى هذه
الخزائن من تحف وغرائب ، أو
اطلاعه على نسخ من الكتب
محفوظة فيها :

- " رأيت أنا جزءاً فى خزانة
المأمون ، ترجمته (٨٠) : ما
أمر بنسخة أمير المؤمنين
المأمون عبد الله " (٨١) .

- " وهذا مثال الحروف ، وكتبها
من خزانة المأمون " (٨٢) .

- " قرأت فى كتاب وقع إلى
قديم النسخ ، يشبه أن يكون
من خزانة المأمون " .

- " ... والذى رأيت صنمٌ صُفْرُ

فى دار السلطان ، قيل إنه
صورة البدن ، وهو شخص
على كرسى " قد عقد بإحدى
يديه ثلاثين " (٨٣) .

- " كان بمدينة الحديثه رجل
يقال له محمد بن الحسين ...
جماعة للكتب ، له خزانة لم أر
لأحد مثلها كثرة " (٨٤) .

- " رأيت منها (المقالة) العاشرة
بالموصل فى خزانة على بن
أحمد العمرانى " (٨٥) .

- وقال وهو يتحدث عن ابن
حاجب النعمان : " ولم
تشاهد خزانة للكتب أحسن
من خزانته ، لأنها كانت
تحتوى على كل كتاب عين ،
وديوان فرد ، بخطوط العلماء
المنسوبة ... " (٨٦) .

- " رأيت أنا فى زماننا عند أبى
يعلى حمزة الحسنى رحمه
الله مصحفاً قد سقط منه

أوراق بخط علي بن أبي طالب " (٨٧) .

٢- مشاهداته ورؤيته الكتب دون تحديد موضع ، مثل :

- "ورأيت مصحفا بخط جدتهم مقلّة " (٨٨) .

- " ثم ظهر قى نكبات السلطان هذا التفسير (تفسير كتاب جامع النطق الذى عمله الزجاج) منقطعا .. ورأيناه وهو فى طُلُحَى لطيف " (٨٩) .

- "... وقد رأيتَه (أى كتاب هزار افسان) بتمامه دفعات ... " (٩٠) .

- " ورأيت من ذلك (يعنى كتاب السمر الذى ألفه الجهشيارى) عدة أجزاء بخط أبى الطيب أخى الشافعى " (٩١) .

- " ورأيت أنا فى نسخة (من كتاب كليلة ودمنة) زيادة بابين " (٩٢) .

- " رأيتَه (أى كتاب النوادر لدهج) نحو مئة وخمسين ورقة ، وفيه إصلاح بخط أبى عمر الزاهد " (٩٣) .

وينضم إلى ذلك مثل قوله :

- " والذى رأيت أنا بالمشاهدة أن أبا الفضل بن العميد أنفذ إلى هاهنا (يعنى إلى بغداد) فى سنة نيف وأربعين (وثلاث مئة) كتباً متقطعة أصيبت بأصفهان فى سور المدينة فى صناديق، وكانت باليونانية " (٩٤) .

٣- قراءاته من كتب لم يذكر أسماءها ، مثل :

- " قرأتُ فى بعض الكتب القديمة " (٩٥) .

- " قرأت بعض التواريخ القديمة " .

- " قرأت بخط رجل من أهل خراسان ... وكان هذا الجزء يشبه الدستور " (٩٦) .

- ومن غير كلام يحيى (النحوى) ، من بعض التواريخ القديمة " (٩٧) .
- " وجدت على ظهر جزء بخط عتيق مكتوب ... " (٩٨) .
- ٤- النقل من كتب معروفة ، مصحوبة بأسماء مؤلفيها (٩٩) ، مثل :
- تاريخ إسحاق الراهب (١٠٠) .
- كتاب اختلاف الزيجات لأبى معشر (١٠١) .
- تاريخ يحيى النحوى (١٠٢) .
- الرد على النصارى للقطبى (١٠٣) .
- أخبار بابك لواقد بن عمرو التميمى (١٠٤) .
- الكشف عن مذاهب الحرثانيين لأبى يوسف إيشع اللقطيعى النصرانى (١٠٥) .
- كتاب البيان والتبيين للجاحظ (١٠٦) .
- كتاب الدولة العباسية لإبراهيم ابن العباس الصولى (١٠٧) .
- محاسن خراسان للبلى (١٠٨) .
- تاريخ إسحاق بن حنين (١٠٩) .
- كتاب الورقة لمحمد بن داود (١١٠) .
- وقد يكتفى بذكر الكتاب دون اسم مؤلفه كقوله :
- وقال صاحب مفاخر العجم (١١١) .
- كذا قرأت فى أخبار علماء الكوفة بخط أبى الطيب أخى الشافعى (١١٢) .
- وقال صاحب كتاب أخبار ما وراء النهر من خراسان (١١٣) .
- أو أنه يذكر المؤلف دون اسم الكتاب كقوله :
- كتاب ابن حاجب النعمان (١١٤) .
- ٥- الحديث عن الثقة وذى الخبرة

- " من خط الحكيمى من كتاب
حلية الأدباء " (١٢٦) .

- " قرأت بخط أبى الطيب أخى
الشافعى وراق ابن
عبدوس " (١٢٧) .

- " ومن خط ابن وداع " . وكان
ابن وداع صحيح الخط حسنه
يرغب فيه الناس (١٢٨) .

- " من خط إسحاق بن
حنين " (١٢٩) .

- " كذا قرأت بخط يحيى بن
عدى فى فهرست كتبه ،
ولنيقولاوس اختصار لهذا
الكتاب ، من خط يحيى بن
عدى ... رأيتها مكتوبة بخط
يحيى بن عدى فى فهرست
كتبه ... " (١٣٠) .

- " ورأيت بخطه شيئا كثيرا فى
علوم كثيرة ، مسودات
ودساتير ، لم يخرج منها إلى
الناس كتاب تام ... " (١٣١) .

ويمضى ابن النديم فى الإفادة
من هذا المصدر شوطا بعيدا .
لقد أمدته خطوط العلماء والمهرة
من النساخ بزاد أى زاد فى
تأليف كتابه ، حتى كأنها كانت
له المصدر الأول ، ولا غرو فهو
وراق ابن وراق ، عمله تصفح
الكتب ، وفحصها ومعرفة
خطوطها أهم ما يعنيه ويجذبه .

على أن ابن النديم قد أفاد فى
كتابيه من أبى الحسن بن الكوفى
الفائدة الكبرى ، فبالغ فى الأخذ
عنه ، والمتح من كتابه . فهو "
عالم صحيح الخط ، راوية جماعة
للكتب ، صادق الحكاية ، منقر ،
بحاث " (١٣٢) . فاحتفل ابن
النديم بخطه ، ونقل عنه النقول
الكثيرة (١٣٣) .

٧- السؤال ، سؤال أهل العلم
وأصحاب التخصص . من ذلك :
- " وسألت الراهب عن المذهب
فقال : أكثرهم ثنوية
وسمنية " (١٣٤) .

- " وسألت رجلا من الروم
مراطنا بلغتهم ، وكان يذكر
أنه وصل إلى المرتبة التي
تسمى (الإيطومولوجيا) وهو
النحو الرومي ، فقال .. " (١٣٥) .

- " سألت رجلا من أفضلهم عن
ذلك فقال : أنزل الله جل
اسمه على موسى التوراة ،
وهي خمسة أخماس . وينقسم
كل خمس إلى سفرين ،
وينقسم السفر إلى عدة
فراسات ، ومعناها السورة .
وينقسم كل فراسة إلى عدة
ابسوقات ، ومعناها
الآيات ... " (١٣٦) .

وينضم إلى السؤال الاختيار
والتجربة . يقول ابن النديم :

- " جاعنا من بعلبك في سنة
ثمان وأربعين (وثلاث مئة)
رجل متطبيب زعم أنه يكتب
بالساميا (١٣٧) ، فجربنا عليه
ما قال فأصيبناه إذا تكلمنا

بعشر كلمات أصغى إليها ثم
كتب كلمة فاستعدناها
فأعادها بألفاظنا ... " (١٣٨) .

٨- نقل الأقوال مسندة إلى
أصحابها حيناً وغير مسندة
حيناً .

- " قال أبو دلف الينبرغي ...
وقال غيره ... " (١٣٩) .

- " وكذا قال لي جيكي الصيني
في سنة ٣٥٦ هـ " (١٤٠) .

وقد ذكرنا لمعا من هذه الأقوال
أنفا في ترجمتنا لابن النديم .

النقطة الرابعة : ترتيب مواد الكتاب :

الطريقة التي ارتضاها ابن
النديم في ترتيب مواد كتابه في
كل فن من الفنون هو تتابع ذكر
المصنفين وفقا لزمانهم

- " ونبدأ ببقراط رأس
الأطباء " (١٤١) .

ولكنه قد يخرج على ذلك
لضرورات يفرضها التأليف

أحيانا ، وهو حريص على
الكشف عن السبب الذى دعاه
للخروج على الترتيب الذى
ارتضاه فى كل مرة ، وهذه أمثلة
من الدواعى والعلل التى فسر بها
ما وقع فى كتابه من إخلال
بالترتيب :

- " إذا ذكرت من المصنفين
إنسانا اتبعته بذكر من يقاربه
ويشبهه ، وإن تأخرت مدته
عن مدة من أذكره بعده ،
وهذه سببى فى جميع الكتاب
والله يعين بمنه وفضله " .

- " ذكر قوم من المعتزلة أبدعوا
وتفردوا ، قال محمد بن
إسحاق (أى ابن النديم
مؤلف الفهرست) : نذكر
هؤلاء فى هذا الموضع من
الزمان ، ثم نعود إلى ذكر
المعتزلة المخلصين فننسقهم
على الولاء إلى زماننا هذا ،
وبالله الثقة " (١٤٢) .

- " أخبر الكندى ... إنما
وصلنا ذكره بالفلاسفة
الطبيين إثارا لتقديمه ،
لموضعه من العلم ... " (١٤٣) .

- " أحمد بن الطيب ... ممن
ينتمى إلى الكندى ، وعليه
قرأ ، ومنه أخذ ، فذكرناه فى
هذا الموضع لاتصاله
به " (١٤٤) .

- " رجعنا إلى النسق بعد حنين ،
إنما ذكرنا من ذكرناه قبل
هذا الموضع لأنهم متقاربون
فى العلم والزمان ، ونحن
نذكر بعدهم من يلحق بحنين ،
إذا كانت له الرياسة على
أبناء جنسه " (١٤٥) .

بل أنه ليذكر سبب تقديم
البصريين فى الفن الأول من
المقالة الثانية على الكوفيين فى
الفن الثانى من المقالة الثانية
فيقول :

" قال محمد بن إسحاق : إنما قدمنا البصريين أولاً ، لأن علم العربية عنهم أخذ ، ولأن البصرة أقدم بناء من الكوفة " (١٤٦) .

أما ترتيب الكتب وسرد أسمائها ، فقد كان يؤثر أن يلتزم بترتيب من سبقه إن أخذ ذلك عنه

- " العياشى : كُتِبَ جَنيْد ... كتاباً في آخره نسخة ما صنفه العياشى ، وقد ذكرته على مارتبه صاحبه هذا .. " (١٤٧) .

- " قرأت بخط عتيق يوشك أن يكون كتب في زمان داود بن على (الظاهري) تسمية كتب أبى سليمان داود بن على ، وقد أثبتتها على ترتيب ما قرأت ... " (١٤٨) .

ولكن الترتيب الذى نهجه ابن النديم لم يسلم له دائماً ، ولست أدري : أكان

هذا فى أصل الكتاب أم وقع من النساخ (١٤٩) ، من ذلك :

١ - أنه تحدث عن الشيعة الإمامية والزيدية فى الفن الثانى من المقالة الخامسة .

٢ - ثم تكلم فى الفن الخامس من المقالة الخامسة على السياح والزهاد والعباد والمتصوفة ، فأدرج فى كلمته دون تمهيد ولا توطئة : الكلام على مذاهب الإسماعيلية ، ثم عاد فذكر مصنفى الشيعة ، ثم الزيدية (١٥٠) .

وأنى أرجح أن يكون هذا من فعل النساخ ، لأن ابن النديم قد ذكر فى مقدمة الفهرست أن الفن الثانى من المقالة الخامسة هو فى أخبار متكلمى الشيعة الإمامية والزيدية وغيرهم من الغلاة والإسماعيلية وأسماء كتبهم (١٥١) .

٣ - وتحدث ابن النديم فى الفن

الثالث من المقالة الثالثة عن
الندماء والجلساء والأدباء
والمغنين (١٥٢) .

وفي أعقاب أخبار جحظة
البرمكى تأتي العبارة التالية :
" بعد أخباره أخبار قُريص
المغنى ، وهو يجىء بعد هذه

الورقة بسبع عشرة ورقة ، كذا
رتبه مؤلف الكتاب " . ثم تأتي
بعد صفحات أخبار قريص
المغنى . (١٥٢) .

ومثل هذا الكلام واضح الدلالة
فى أن نسخة ابن النديم
اعتورها شئ من التبديل .

صورة ابن النديم

كما تبدو في الفهرست

- ١ - يبرز الكتاب صورة ابن النديم
الواسع الاطلاع ، الرحب الآفاق ،
المتعدد مناحي المعرفة ، يكاد يجول
في كل ميدان .
- ٢ - وتتجلى في الكتاب روح النصفية
والنزاهة ، فابن النديم ينقل الآراء
والأخبار بأمانة ودقة ، ويضعها بين
يديك ، ويعدد الروايات والأخبار ، لا
يريد أن يخفى عن قارئه شيئاً (١٥٤).
- ٣ - ولكن هذا الحياد الذي يتحلى به ابن
النديم لا يحول بينه وبين إظهار شكه
فيما يراه مخالفا لطبيعة الأشياء ،
غير مقبول ، فتراه يتحرز ويتحفظ :
- "وقال كعب ، وأنا أبرأ من قوله" (١٥٥).
- "قال محمد بن إسحاق : وللفريقين
جميعا في الصنعة كتب وعلوم .
وهذه أمور ، الله العالم بها ، ونحن
نبرأ في ذكرها من العيب
والحكاية " (١٥٦) .
- ٤ - بل أن هذا الحياد لا يمنعه من أن
يبدي رأيه فيما يراه أقرب إلى الحق .
" ... فأما الذي يقارب الحق ، وتكاد
النفس تقبله ... " (١٥٧) .
- ومثل ذلك موقفه من قول لإسحاق
الراهب إذا يتعقبه مصححا :
" قال محمد بن إسحاق : هذا الملك
من الفرس ، ولا معاملة بينه وبين
فلاطن " (١٥٨) .
- ٥ - وهو يجل العلماء الاعلام ، ويعرف
أقدارهم ، ومكانتهم ، فيطوى مارآه
وشاهده ، ويثبت ما قالوه :
- " قال محمد بن إسحاق : رأيت
عدة مصاحف ذكر نساخها أنها
مصحف ابن مسعود ليس فيها
مصحفان متفقين ... وقد رأيت
مصحفا قد كتب منذ مئتي سنة
فيه فاتحة الكتاب ، والفضل بن
شاذان أحد الأئمة في القرآن

والروايات ، فلذلك ذكرنا ما قاله
دون ما شاهدناه "(١٥٩) .

- " ... قرأت بخط أبي الحسن بن
الكوفي ثبت كتاب الصفات
(النضر بن شميل) على ما قد
ذكرته . ولم أعول على ما
رأيت... "(١٦٠) .

ويدخل في هذا الباب أنه كان يؤثر
أن ينقل من فهرست العالم الذي
يترجم له ، إذا وجد مثل هذا
الفهرس ، مبالغة في التدقيق ، وهذا
ما دفعه أن ينقل تصانيف الرازي
من فهرسته الذي وضعه (١٦١) .

٦ - وابن النديم ، في كتابه الفهرست ،
نير العقل ، متفتح الذهن ، لا يقبل
الأشياء ولو قال بها كبار الرجال ،
أو كانت مما ألفه المجتمع وقبله .

- يتحدث عن ابن أبي رصاصة من
أصحاب العزائم ، وكان مقدما في
صناعته ، فيروى لنا بصدق ما
جرى بينهما :

" سألته يوما : يا أبا عمرو ، أنا
أنزهك عن التعرض لهذا الشأن ،
فقال : يا سبحان الله ، لي نيف
وثمانون سنة . لو لم أعلم أن هذا
أمر حق لتركته ، ولكني لا أشك في
صحته . فقلت : والله لا أفلحت "(١٦٢) .

- ويتحدث عن الخنثليل ، وكان
صديقا له فيقول : " وزعم لي
دفعات أن الصناعة (صناعة
الكيمياء ، وهي صناعة الذهب
والفضة من غير معادنها) (١٦٣)
صحت له ، ولم أر آثار ذلك عليه ،
لأنني لا أراه إلا فقيرا ، وشيخا
محارفا ، وكان سمجا " (١٦٤) .

يقول ابن النديم هذا في الصناعة
وهو يعلم أن محمد بن زكريا الرازي
"كان يرى حقيقة الصنعة ، وقد ألف
في ذلك كتبا كثيرة " (١٦٥) .

٧ - وكان ابن النديم محبا للحقيقة أشد
الحب . وفي سبيل ذلك كان يتجشم
ما يتجشم من العناء :

- يتحدث عن الحسن باذى من
الإسماعيلية فيقول : " وكنت
أَمْضى إليه فى جملة أصحابه ،
وكان ينزل بناحية بين القصرين ،
وكان طريف العمل ، عجيب
المعنى فى عبارته وكلامه وما
يورده ... " (١٦٦) .

ويتصل بهذا ما اتصف به من دقة
الملاحظة وصدق العرض .

- يتحدث عن المنانية فيقول : " ...
وقد قَلُّوا فى المواضع الاسلامية .
وأما مدينة السلام فكنت أعرف
منهم فى أيام معز الدولة نحو
ثلاث مئة . وأما فى وقتنا هذا
(سنة ٣٧٧ هـ) فليس بالحضرة
منهم خمس أنفس ... " (١٦٧) .

- ويتحدث عن الإسماعيلية فيقول :
" ومنذ نحو عشرين سنة تناقص
أمر المذهب ، وقل الدعاة فيه ،
حتى إنى لا أرى من الكتب
المصنفة فيه شيئاً ، بعد أن كان
فى أيام معز الدولة فى أولها

ظاهراً شائعاً ذائعاً ، والدعاة
منبثون فى كل صقع وناحية ،
هذا ما أعلمه فى هذه البلاد ، وقد
يجوز أن يكون الأمر على حالة
بنواحي الجبل وخراسان " (١٦٨) .

٨ - ويتصل بإيثاره الحقيقة وحبه
الإنصاف ، أنه كان صريح الرأى ،
يعطى كل ذى حق حقه ، لا يحابي
ولا يجامل ، يمدح ويثنى حيث
يحسن ، ويكشف عن الخطأ حيث
يتراعى له . وكان يلتزم الأدب والدقة
فى عبارته . وتدل أحكامه على تذوق
رفيع وحسن فهم . كما يشى أسلوبه
الموجز المحكم بأنه كان من أولئك
الوراقين الأدباء النقاد . ومن هنا
درج القدماء على نعتة بالأخبارى
حيناً ، وبالكاتب حيناً ، وبالوراق
حيناً ثالثاً (١٦٩) . وهذه نماذج من
آرائه وأحكامه :

١- يتحدث عن ابن أبى منصور
الموصلى فيقول : " وكتبه موجوده ،
وكان فى نهاية حسن
الأدب " (١٧٠) .

٢- يتحدث عن كتاب سمسه ودمن بالرومية ، وهو على مثال كلية ودمنة ، فيقول فى صفته : " وهو كتاب بارد التأليف ، بغيض التصنيف ، وقد قيل إن بعض المحدثين عمله " (١٧١) .

٣ - يذكر كتاب الطبقات الكبير لابن سعد فيقول : " وهذا الكتاب ألفه ابن سعد من كتب الواقدي والكلبي والهيثم بن عدي والمدائني " (١٧٢) .

٤ - يتحدث عن جعفر الموصلى فيصفه بأنه " حسن التأليف والتصنيف " ، ثم يعدد كتبه الأدبية فيذكر من بينها : " كتاب السرقات ، ولم يتمه ، ولو أتمه لاستغنى الناس عن كل كتاب فى معناه " (١٧٣) .

٥ - يذكر كتاب أخبار عمر بن أبى ربيعة لابن بسام الشاعر فيقول فى صفته : " ولم أر فى معناه أبلغ " (١٧٤) .

٦ - يتحدث عن أبى جعفر محمد بن حبيب فيقول : " من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل . وكتبه صحيحة " (١٧٥) .

٧ - يذكر الصولى وكتابه الأوراق فيقول : " وهذا الكتاب عول فى تأليفه على كتاب المرشدى فى الشعر والشعراء ، بل نقله نقلا وانتحله ، وقد رأيت دستور الرجل خرج من خزانة الصولى فافتضح (١٧٦) .

٨ - يورد كلمات الجاحظ التى وصفه بها المأمون ليعقب عليها بقوله : " قال محمد بن إسحاق : الجاحظ حسن هذا اللفظ تعظيما لنفسه ، وتفخيما لتأليفه ، وكيف يقول المأمون هذا الكلام مادحا لتصنيف ، أو مثنيا على تأليف ، وقد كتب إلى ملك البرغر كتابا يحتوى على أكثر من مئة ورقة ، لم يستعن فى ذلك بأحد .. " (١٧٧) .

٩ - يقول متحدثا عن كان يرمى

بالزندقة : " قرأت بخط بعض أهل
المذهب أن المأمون كان منهم ،
وكذب في ذلك " (١٧٨) .

١٠- يذكر كتاب (الهليلة) ليقول :
" لا يُعرف مؤلفها ، ويقال : ألفها
الصادق رضى الله عنه . وهذا
محال " (١٧٩) .

١١- يتحدث عن كتاب (هزار
افسان) وهو كتاب يحتوى على
ألف ليلة وعلى دون المئتي سمر
ليقول : " وقد رأيت به بتمامه
دفعات ، وهو بالحقيقة كتاب غث ،
بارد الحديث " (١٨٠) .

١٢- يتحدث عن شعر ابن هرمة
فيقول :

" قد صنعه الصولى ، ولم يأت
بشئ " (١٨١) .

١٣- يذكر أرسطاليس ويصفه :
" وكان بليغ اليونانيين ومترسلهم ،
وأجل علمائهم ، بعد فلاطن ومن
مضى ، عالى المرتبة فى الفلسفة "
ثم ينقل مقطعا من رسالته فى

السياسة ليعقب عليه بقوله : "
وهذا كلام فى نهاية الحكمة
والبلاغة وكثرة المعانى مع نقله من
لغة إلى لغة ، فكيف به وهو على
لغة قائله " (١٨٢) .

١٤- ويذكر أبا منصور بن أبى براك
أستاذ السرى الرفاء ليقول :
" ويقال إن السرى سرق شعره
وانتحلله " (١٨٣) .

١٥- أما الخبزأرزي فرقيق الألفاظ ،
ولكنه غير بصير بصناعة
الشعر (١٨٤) .

١٦- وكان الشمشاطى شاعرا
مصنفا كثير الرواية " وفيه تزيّد ،
كذا كنت أعرفه قديما وقد قيل :
إنه قد ترك كثيرا من أخلاقه عند
علو سنه ، ويحيا فى عصرنا
هذا " (١٨٥) .

١٧- يذكر كتاب الحيوان للجاحظ
فيقول " وقد أضيف إليه كتاب
سموه كتاب الإبل ، ليس من كلام
الجاحظ ولا يقاربه " (١٨٦) .

١٨- يتحدث عن قررة بن قميطا
الحراني ليقول : " هذا عَمَلٌ صِفَةٌ
الدنيا ، وانتحلها ثابت بن قررة
الحراني ، ورأيت هذه الصفة في
ثياب دبيقى خام بأصباغ ، وقد
شمعت الأصباغ " (١٨٧) .

١٩- يتحدث عن البشى ليقول :
ولم أر من كتبه شيئاً ، بل خبرني
أبو على بن سوار الكاتب رحمه
الله ، وهو الذى عمل خزانة
الوقف بالبصرة ، وكان محباً
للعلوم ، شديد الشغف بها ، قال:
في خزانتي بالبصرة من كتبه .

قال محمد بن إسحاق : " أنا
شاكٌ في البشى ، هل هو بالشين
أو السين " «بست» : معروفة من
أرض سجستان ، و«بش» لا
نعرفها . والذى أثبتته من لفظ أبى
على بالشين منقوطة فنسأل عن
هذا الرجل وعن كتبه ، ويلحق
ببابه إن شاء الله " (١٨٨) .

٢٠- ومن حسن التعليل قوله : " قال
محمد بن إسحاق : كانت

الأسمار والخرافات مرغوباً فيها ،
مشتهاة في أيام خلفاء بنى
العباس ، ولا سيما في أيام
المقتدر ، فصنّف الوراقون
وكذبوا ، فكان ممن يفتعل ذلك
رجل يعرف بابن دلان ، واسمه
أحمد بن محمد بن دلان ، وآخر
يعرف بابن العطار ، وجماعة .
وقد ذكرنا فيما تقدم من كان
يعمل الخرافات والأسمار على
ألسنة الحيوان وغيره ، وهم سهل
بن هارون ، وعلى بن داود ،
والعتابى ، وأحمد بن أبى
طاهر " (١٨٩) .

٢١- ومن تذوقه الأساليب قوله : "
قال محمد بن إسحاق : الناقل
لهذه الأسرار الخمسة كان
عقياً ، غير فصيح بالعربية . أو
أراد بنقلها على هذا النسيج
والرداءة الصدق عنهم ، والتحري
لألفاظهم ، فتركها على حالها في
بُعْدِ الائتلاف ، وتقطع
الكلام " (١٩٠) .

٢٢- ولا يخلى ابنُ النديم كتابه من العربية ونحوها ، ومن تفسير الكلمات الأعجمية :

- يقول : " وهو هشام بن عمرو الفوطى ، مسكن الواو ، كذا يجب فى العربية " (١٨٩) .

- ويقول : " ومعنى الكسدانى : نبطى " ، " وخان بلسانهم لقب يلقبون به ملوك الترك " ، " ومعنى بغبور بلغة الصين ابن السـمـاء ، أى نزل من السماء " (١٩٠) .

وهذه النظرات الأدبية والنقدية كثيرة ومثبوثة فى تضاعيف كتاب الفهرست ،

يستطيع من يتتبعها أن يقدم صورة واضحة لابن النديم المدقق الناقد الأديب . وبعد ، فهذا وصف مجمل لكتاب الفهرست وصاحبه .

وتبقى بعد ذلك الدراسات المفصلة التى تتناول كل فن من الفنون التى عرض لها صاحب الفهرست ، لتوازن بين ما جاء فيه وما كان متداولاً فى عصره ، فتدل على الجدة والطرافة ، ثم تكشف عما هو صحيح من الآراء والمعتقدات التى بسط القول فيها ، وما كان شائعاً دون أن تسنده حقيقة فهو من أفكار العامة وتصوراتها ومعتقداتها .



الحواشي

- طبع كتاب الفهرست لابن النديم خمس طبعات :
- أولها : طبعة ليبزيغ سنة ١٨٧١ م بتحقيق فلوجل ، ثم صورت هذه الطبعة في بيروت .
- والثانية : أصدرتها المكتبة الجارية الكبرى « المطبعة الرحمانية بمصر » سنة ١٣٤٨ هـ .
- الثالثة : أصدرتها المكتبة التجارية الكبرى « مطبعة الاستقامة بالقاهرة » .
- الرابعة : طبعة طهران (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) بتحقيق رضا - تجدد .
- الخامسة : طبعة « دار قطرى بن الفجاءة - قطر » بتحقيق الدكتورة ناهد عباس عثمان - والإشارة في مقالنا إلى الفهرست - طبعة طهران ، فإذا أردنا الإشارة إلى سواها شفعنا اسم الفهرست بذكر الطبعة .
- (١) الفهرست : ٣ ، وأورد صاحب كشف الظنون (٢ : ١٣٠٣ - ١٣٠٤ / فهرس العلوم) جزءاً من العبارة باختلاف يسير .
- (٢) الفهرست : ١٧٧ .
- (٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ط دار الحياة - بيروت) : ٩١ ، ٢٤٦ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٢٩ ، ٤١٤ ، الوافى بالوفيات ٢ : ١٩٧ ، كشف الظنون ٢ : ١٣٠٣ ، هدية العارفين ٢ : ٥٥ .
- (٤) انظر كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى لأدم مقرر ، ترجمة محمد عبد الهادى أبوريدة ، جزآن (القاهرة - ١٩٤١ م) .
- (٥) الفهرست : ٩٩ ، ٢٩١ ، ٣٨١ ، لسان الميزان لابن حجر ٥ : ٧٢ ، الوافى بالوفيات ٢ : ١٩٧ .
- وقد حرفت عبارة ابن النديم التى جاءت على الصواب فى الفهرست «ط.

طهران « : ٢٩١ ، وهى : " قال لى
ابن اسحاق بن محمد بن اسحاق "
فى طبعة فلوغل (ص ٢٣٤) ، وفى
طبعتى مصر (ص ٣٢٦ ، ٣٤١)
المأخوذتين عن طبعة فلوغل إلى : "
قال لى أبو اسحاق ابن محمد بن
اسحاق " .

- وذكر محقق طبعة طهران أن ناسخ
الأصل المخطوط قد أثبت فوق كلمة
« أبى » لفظة « صح » ، ليزيل أى
لبس قد يقع فيه قارئه (الفهرست :
٢٩١ هـ ١) .

(٦) الفهرست : ١ ، ٤٣ ، ٩٩ ، ١٧٥ ،
١٩٩ ، ٢٤٩ ، ٢٩٧ ، ٣٦١ ، ٣٨١ ،
٤١٥ ، ٤١٧ .

(٧) معجم الأدباء ١٨ : ١٧ .

(٨) الفهرست : ٢٩١ .

(٩) الفهرست : ١٧٥ ، ١٩٩ ، ٢٤٩ ،

٢٩٧ ، ٤١٣ ، معجم الأدباء ١٨ : ١٧ ،

إنبأه الرواة ١ : ٧ ، الوافى بالوفيات

٢ : ١٩٧ ، لسان الميزان ٥ : ٧٢ ،

كشف الظنون ٢ : ١٣٠٣ ، هدية
العارفين ٢ : ٥٥ .

(١٠) معجم الأدباء ١ : ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢ ،

٩٨ : ٤ ، ١٠٤ ، ١٩٠ ، ١٨ : ١١٣ ،

إنبأه الرواة ١ : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٣ :

٣٣٠ ، وفيات الأعيان ٥ : ١٦٨ ،

٣٠٦ ، ٦ : ٣٦٤ ، عيون الأنباء فى

طبقات الأطباء : ٩١ ، ٢٤٦ ، ٢٨٦ ،

٢٨٧ ، ٣٢٩ ، ٤١٤ .

(١١) ترجمت له دائرة المعارف الإسلامية

فى طبعتها الأولى (مج ٣ : ٨٦٣ -

٨٦٥) فى مادة « النديم » بوعادت فى

طبعتها الثانية (مج ٣ : ٩١٩ - ٩٢٠)

لتترجم له فى مادة « ابن النديم » ،

وانظر أبجد العلوم ١ : ١٧٣ ، وفى

طبعتى الفهرست بمصر قيل : ابن

النديم ، أما طبعة طهران فاثرت :

النديم .

(١٢) الفهرست : ٢٩٥ .

(١٣) الفهرست : ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ،

٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،

٩١ ، لسان الميزان ٥ : ٧٢ ،

- حاشية المقرئى على الفهرست /
مخطوطة تشسترييتى « الفهرست ،
ص : د » .
- (١٤) الفهرست : ٣٤ ، ٥٠ ، ٦٨ .
- (١٥) الفهرست : ١٥٨ ، لسان الميزان
٧٢ : ٥ ، حاشية المقرئى على
الفهرست . مخطوطة تشسترييتى
« الفهرست ، ص : د » .
- (١٦) الفهرست : ٣٠٢ ، ٣٠٤ « وترجمة
أبى سليمان فى الفهرست : ٣٢٢ » .
- (١٧) الفهرست : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، حاشية
المقرئى على الفهرست . مخطوطة
تشسترييتى « الفهرست ، ص : د » .
- (١٨) الفهرست : ١٤٦ .
- (١٩) لسان الميزان ٥ : ٧٢ ، الفهرست :
٦٣ ، ٦٥ ، وانظر كتاب أخبار
النحوين البصريين للسيرافى « تح
كرنكو » : ٨٥ - ٨٦ .
- (٢٠) الفهرست : ١٣ - ١٤ .
- (٢١) الفهرست : ١٤ .
- (٢٢) الفهرست : ١٦٢ .
- (٢٣) الفهرست : ١٥ .
- (٢٤) الفهرست : ٢١ .
- (٢٥) الفهرست : ٢٥ - ٢٦ .
- (٢٦) الفهرست : ٢٧ - ٢٨ .
- (٢٧) الفهرست : ٦٧ .
- (٢٨) الفهرست : ١٤٣ - ١٤٤ .
- (٢٩) الفهرست : ١٥٤ ، ١٧٢ .
- (٣٠) الفهرست : ١٩٥ .
- (٣١) الفهرست : ٢٤٧ .
- (٣٢) الفهرست : ٣٠٥ - ٣٠٦ « وترجمة
ابن الخمار فى الفهرست : ٣٢٣ » .
- (٣٣) الفهرست : ٣٠٤ ، عيون الأنباء فى
طبقات الأطباء : ٢٦٠ « ترجمة
حنين بن اسحاق » .
- (٣٤) الفهرست : ٣٢٥ .
- (٣٥) الفهرست : ٣٥٦ - ٣٥٧ .
- (٣٦) الفهرست : ٤١٢ - ٤١٣ .
- (٣٧) الفهرست : ٢٩١ - ٢٩٣ .

٨ - ، والحديث عدة مواضع :
حديث الموصل ، وحديث الفرات
«وتعرف بحديث النورة » ، وحديث
جرش من قرى غوطة دمشق
«معجم البلدان - الحديث » .

(٥٣) الفهرست : ١٤ ، معجم الأدباء ١٨
: ١٧ ، وافى بالوفيات ٢ : ١٩٧ .

(٥٤) الفهرست : ٢١٢ .

(٥٥) معجم الأدباء ١٨ : ١٧ ، الوافى
بالوفيات ٢ : ١٩٧ ، لسان الميزان
٥ : ٧٢ ، حاشية المقرئ على
الفهرست / مخطوطة تشستريتي
« الفهرست : ، ص : د » .

(٥٦) الفهرست : ٢٤ ، ٢٤٦ ، ٢٨٧ ،
٢٨٩ ، لسان الميزان ٥ : ٧٢ .

(٥٧) الفهرست : ٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٢٣١ ، ٢٨٧ ، لسان الميزان ٥ : ٧٢ .

(٥٨) الفهرست : ٢٣٨ ، ٢٦٣ ، لسان
الميزان ٥ : ٧٢ .

(٥٩) الفهرست : ٢٣٨ .

(٦٠) الفهرست : ١٢٣ .

(٣٨) الفهرست : ٢٩٥ .

(٣٩) الفهرست : ٣٧١ .

(٤٠) الفهرست : ٣٧٢ .

(٤١) الفهرست : ٢٤٧ ، والتتميس :

التلبيس « اللسان » .

(٤٢) الفهرست : ١٦١ .

(٤٣) الفهرست : ٣٢٢ ، عيون الأنباء فى

طبقات الأطباء : ٣١٨ « ترجمة

يحيى بن عدى » .

(٤٤) الفهرست : ١٤٥ .

(٤٥) الفهرست : : ٢٢٦ .

(٤٦) الفهرست : ٤٢٥ .

(٤٧) الفهرست : ٤٦ ، إنباه الرواة ١:٧ .

(٤٨) الفهرست : ٢٧٣ .

(٤٩) الفهرست : ٩٤ .

(٥٠) الفهرست : ١٥٤ .

(٥١) الفهرست : ٩٤ ، ١٨١ ، ٢٤١ ،

٣٢٥ ، ٤٢٤ .

(٥٢) الفهرست : ٤٦ ، إنباه الرواة ١:٧

- (٦١) الوافى بالوفيات ٢ : ١٩٧ ، حاشية
المقريزى على الفهرست /
مخطوطة تشستريبتى «الفهرست
ص : د» ، انظر الفهرست ، ص:أ.
- (٦٢) الفهرست : / ط فلوغل ، ص XII
هامش رقم ٢ ، كشف الظنون ٢ :
١٣٠٣ ، هدية العارفين ٢ : ٥٥ .
- (٦٣) لسان الميزان ٥ : ٧٢ .
- (٦٤) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ،
مج ب، ج ٣ ، ص : ٦٢٠ - ٦٢٢ .
- (٦٥) الفهرست : ١٨١ .
- (٦٦) الفهرست : ٣٥٣ .
- (٦٧) الفهرست : ٢٣٣ .
- (٦٨) الفهرست : ٢٤٤ .
- (٦٩) الفهرست : ٣ ، ٤١ ، ٩٦ ، ٢٧٣ ،
معجم الأدباء ١٨ : ١٧ ، لسان
الميزان ٥ : ٧٢ .
- (٧٠) الفهرست : ٣ - ٥ .
- (٧١) الفهرست : ٣ .
- (٧٢) الفهرست : ١٧٨ .
- (٧٣) طبّق الشعراء : جعلهم طبقات ،
فعل ابن سلام الجمحى وأمثاله .
- (٤) الفهرست : ١٨١ .
- (٧٥) الفهرست : ١٢٩ .
- (٧٦) الفهرست : ١٨٢ .
- (٧٧) الفهرست : ٤٠٦ .
- (٧٨) الفهرست : : ١٦٢ .
- (٧٩) الفهرست : ٣٨٣ - ٤٠٨ .
- (٨٠) ترجمته ، تعنى فى هذا السياق :
عنوانه .
- (٨١) الفهرست : ٨ .
- (٨٢) الفهرست : ٢١ .
- (٨٣) الفهرست : ٢٤ .
- (٨٤) الفهرست : ٢٠ .
- والصفّر ، بضم الصاد وسكون
الفاء : ضَرَبَ من النحاس وصانعه
الصفّار .
- والبُدُّ ، بضم الباء : الصنم الذى
يعبد ، فارسى معرب « اللسان
والقاموس » ، انظر تفصيل القول

فى البد فى كتاب الفهرست :

٤١١ ، ومما قاله فى صنعته :

عاقده بيده اثنتين وثلاثين .

(٨٥) الفهرست : ٤٦ ، انباه الرواة ٧:١ .

(٨٦) الفهرست : ٣٢٥ (ترجمة

العميراني « ت ٣٤٤ هـ » فى

الفهرست : : ٣٤١) .

(٨٧) الفهرست : ١٤٩ .

(٨٨) الفهرست : ٣٠ .

(٨٩) الفهرست : ١٢ .

(٩٠) الفهرست : ٦٦ .

- الطلحى : نوع من الورق الخرساني

الذى كان يعمل من الكتان

« الفهرست : ٢٣ ، انظر ص :

١٨١ ، أنصاف الطلحى » ، وفى

القاموس المحيط : والطلحية :

للورقة من القرطاس مؤلدة . وتدل

عبارة ابن النديم فى كتابه على أن

للطلحى أيضاً مقاساً محدداً .

(٩١) الفهرست : ٣٦٣ .

(٩٢) الفهرست : ٣٦٤ .

(٩٣) الفهرست : ٥١ .

(٩٤) الفهرست : ٣٠٢ .

(٩٥) الفهرست : ١٧ .

(٩٦) الفهرست : ٤٠٨ .

(٩٧) الفهرست : ٣٤٦ .

(٩٨) الفهرست : ٣١٥ .

(٩٩) صنع الأستاذ رضا - تجدد ،

محقق الفهرست « طهران -

١٩٧١ م » فهرساً للكتب التى

ذكرها ابن النديم . « وفى الفهرس

شئ من الخل » ، وكان من

المستحسن أن يضيف فهرساً ثانياً

يقصره على ذكر الكتب التى

استقى منها ابن النديم فى كتابه .

(١٠٠) الفهرست : ١٧ ، ٣٠١ .

(١٠١) الفهرست : ٣٠١ .

(١٠٢) الفهرست : ٣٤٥ ، ٣٥١ .

(١٠٣) الفهرست : ٤٠٥ .

(١٠٤) الفهرست : ٤٠٦ .

- (١٠٥) الفهرست : ٣٨٥ .
- (١٠٦) الفهرست : ٢١ .
- (١٠٧) الفهرست : ٤٠٨ .
- (١٠٨) الفهرست : ٢١٦ ، ٢١٨ .
- (١٠٩) الفهرست : ٣٤٥ .
- (١١٠) الفهرست : ١٨٣ .
- (١١١) الفهرست : ٤٧ .
- (١١٢) الفهرست : ٧٨ .
- (١١٣) الفهرست : ٤٠٨ .
- (١١٤) الفهرست : ١٩٠ « وترجمة ابن حاجب النعمان في الفهرست : ١٤٩ » .
- (١١٥) الفهرست : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٤٠ ، ٣٠٦ ، ٣٦٩ ، ٤١١ .
- (١١٦) الفهرست : ٣٨٦ .
- (١١٧) الفهرست : ٧٨ .
- (١١٨) الفهرست : ٧ ، ٨ ، ٥٣ « وترجمة عبد الله أبي سعد الوراق في الفهرست : ١٢١ ، عن طبعة فلوجل : ١٠٨ » .
- (١١٩) الفهرست : ٨ .
- (١٢٠) الفهرست : ١٥ .
- (١٢١) الفهرست : ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ١٠٣ .
- (١٢٢) الفهرست : ١٣٩ .
- (١٢٣) الفهرست : ٢٤٢ .
- (١٢٤) الفهرست : ٥٠ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ١١٩ .
- (١٢٥) الفهرست : ٦٤ .
- (١٢٦) الفهرست : ٦٥ ، ٣٥٤ « وترجمة الحكي في الفهرست : ١٦٨ » .
- (١٢٧) الفهرست : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ١٠٤ ، ١٩٠ ، ٣٦٤ .
- (١٢٨) الفهرست : ٦٣ ، ٨٨ « وترجمة ابن وداغ في الفهرست : ٨٨ » .
- (١٢٩) الفهرست : ٣٠٦ .
- (١٣٠) الفهرست : ٣١٢ ، ٣١٤ .
- (١٣١) الفهرست : ٣٥٧ .
- (١٣٢) الفهرست : ٨٧ .
- (١٣٣) الفهرست : ٧ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٧٣ ،

٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٦ ،

١٠١ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ،

١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،

٤٢٣ .

(١٣٤) الفهرست : ٤١٣ .

(١٣٥) الفهرست : ١٧ .

(١٣٦) الفهرست : ٢٥ . . .

(١٣٧) الساميا : قلم للروم

يصفه ابن النديم فيقول : " ولهم قلم

يسمى « الساميا » ، ولا نظير له

عندنا ، فإن الجزء الواحد منه

يحيط بالمعاني الكثيرة ، ويجمع

عدة كلمات . وقد ذكره جالينوس

في فينكووكتبه . ومعنى هذه

اللفظة: ثبت الكتب " ثم ذكر بعد

ذلك أن للصين كتابه يقال لها :

كتابة المجموع ، وهو شكل من

الحروف يأتي على المعاني الكثيرة

«الفهرست : ١٨ - ١٩ » فالساميا

والمجموع لونا من الكتابة يقابلان

ما تواضع عليه الناس اليوم باسم

الإختزال .

(١٣٨) الفهرست : ١٨ .

(١٣٩) الفهرست : ٤١٣ .

(١٤٠) الفهرست : ٣٤٦ .

(١٤١) الفهرست : ١٦٣ .

(١٤٢) الفهرست : ٢١٤ .

(١٤٣) الفهرست : ٣١٥ .

(١٤٤) الفهرست : ٣٢٠ .

(١٤٥) الفهرست : ٣٥٦ .

(١٤٦) الفهرست : ٧١ .

(١٤٧) الفهرست : ٢٤٤ .

(١٤٨) الفهرست : ٢٧١ .

(١٤٩) ذكر ناسخ الفهرست « مخطوط

تشستريتي » أنه نقله من دستور

ابن النديم ويخطه « الفهرست : ١

٤٣ ، ٩٩ ، ١٧٥ » .

(١٥٠) الفهرست : ٢٢٣ - ٢٢٧ ، ٢٣٥ -

٢٣٨ ، ٢٣٨ - ٢٤٣ ، ٢٤٣ -

٢٤٧ .

(١٥١) الفهرست : ٤ .

- (١٥٢) الفهرست : ١٥٧ - ١٧٣ .
- (١٥٣) الفهرست : ١٦٣ ، ١٧٣ ،
ويحسن أن أشير إلى أن أخبار
قريش المغنى لم ترد في مخطوطات
طبعة طهران ، وإنما نقلها المحقق
رضا - تجدد من طبعة فلوجل :
١٤٦ ، ١٥٦ .
- (١٥٤) الفهرست : ٧ ، ٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ،
٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤١٣ .
- (١٥٥) الفهرست : ٧ .
- (١٥٦) الفهرست : ٤١٧ .
- (١٥٧) الفهرست : ٨ .
- (١٥٨) الفهرست : ٣٠٧ .
- (١٥٩) الفهرست : ٢٩ .
- (١٦٠) الفهرست : ٥٧ .
- (١٦١) الفهرست : ٣٥٧ - ٣٥٩ .
- (١٦٢) الفهرست : ٣٧١ .
- (١٦٣) الفهرست : ٤١٧ .
- (١٦٤) الفهرست : ٤٢٥ .
- (١٦٥) الفهرست : ٤٢٣ .
- (١٦٦) الفهرست : ٢٤١ .
- (١٦٧) الفهرست : ٤٠١ .
- (١٦٨) الفهرست : ٢٤٠ .
- (١٦٩) عيون الأنباء : ٩١ ، ٢٤٦ ، ٢٨٦ ،
٢٨٧ ، ٣٢٩ ، ٤١٤ ، كشف
الظنون ٢ : ١٣٠٣ ، هدية العارفين
٢ : ٥٥ ، الوافى بالوفيات ٢ :
١٩٧ ، لسان الميزان ٥ : ٧٢ .
- (١٧٠) الفهرست : ١٦٦ .
- (١٧١) الفهرست : ٣٦٥ .
- (١٧٢) الفهرست : ١١٢ .
- (١٧٣) الفهرست : ١٦٦ .
- (١٧٤) الفهرست : ١٦٧ .
- (١٧٥) الفهرست : ١١٩ .
- (١٧٦) الفهرست : ١٤٣ ، ١٦٨ ، « ط
فلوجل » : ١٥١ .
- (١٧٧) الفهرست : ٢٠٩ ، « وللمأمون
ترجمة في الفهرست : ١٢٩ ، ذكر
فيها أن للمأمون من الكتب : كتاب
جواب ملك البرغر فيما سأل عنه
من أمور الإسلام والتوحيد » .

وهيئة التصغير ، والصواب
«شمشاط» ، «معجم البلدان
شمشاط» ..

- (١٨٥) الفهرست : ٢٠٩ .
(١٨٦) الفهرست : ٣٤٣ .
(١٨٧) الفهرست : ١٥٤ « ط فلوغل » :
١٣٩ .
(١٨٨) الفهرست : ٣٦٧ .
(١٨٨) الفهرست : ٣٩١ .
(١٨٩) الفهرست : ٢١٤ .
(١٩٠) الفهرست : ٣٧٣ ، ٤٠٠ ، ٤١٣ .

شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

بدمشق

- (١٧٨) الفهرست : ٤٠١ .
(١٧٩) الفهرست : ٣٧٩ .
(١٨٠) الفهرست : ٣٦٣ .
(١٨١) الفهرست : ١٨١ .
(١٨٢) الفهرست : ٣٠٧ .
(١٨٣) الفهرست : ١٩٥ .
(١٨٤) الفهرست : ١٧١ - ١٧٢ ، وجاء
في الفهرست « ط طهران » :
الشميشاطى " بالشين المعجمة
وهيئة التصغير وفي « ط فلوغل » :
«السميساطى» بالسین المهملة